سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

النزول: مكية.

فضل السورة:

تَقَدَّم ذِكْرُه في فضل سورة الإسراء.

المقاصد:

١ ـ تقرير العقيدة الإسلامية بالتوحيد والرسالة والبعث والحساب والقيامة وأهوالها.

٢ ـ بيان جهاد الأنبياء، وصبرهم ونصرهم.

٣ ـ أَدِلَّة الظواهر الكونية على الوحدانية لله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم
مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ
شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

التفسير:

١ ـ قَرُبَ وقت حساب الناس على أعمالهم؛ لنيل العقاب والثواب، وهم غافلون عن أهواله وأحواله، منشغلون بملاذِّ الدنيا.

٢ ـ ما يأتي الكفارَ شيءٌ من القرآن من الله تعالى متجدِّدٌ نُزولُه، إلا استمعوه وهم يسخرون به.

٣ ـ غافلةٌ قلوبُهم عَمَّا جاءهم به النبيُّ ﷺ، وبالغوا في إسرار عداوتهم وافترائهم بقولهم: ما محمَّدٌ إلا بشر مثلُكم لا مزيَّة له عنكم، فكيف يكون نبياً؟ وإنَّ ما جاء به من القرآن سِحْرٌ، فكيف تَتَّبِعونه وأنتم تعرفون أنَّه سحر؟!

٤ ـ ولمَّا بلغ النبيَّ ﷺ هذا الافتراءُ رَدَّ عليهم مُهَدِّداً لهم: ربِّي يعلم كلَّ قول قيل في السموات وفي الأرض، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم.

٥ ـ ٦ ـ بل قال الدجَّالون المشركون فيما جاء به النبي ﷺ أقوالاً

مضطربة، فقال بعضهم: أخلاطُ أحلامٍ لا حقيقة لها. وقال آخرون قولاً آخر: بل محمّد اختلق القرآن من نفسه ولا صِحَّة له، وقال بعضهم قولاً آخر مخالفاً لما سبق: بل هو شاعر، فإن كان صادقاً فليأتنا بمعجزةٍ مُشاهَدةٍ كما أُرْسِلَ الرسلُ السابقون كموسى وصالح وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ما صَدَّقَ أهل القرى الذين اقترحوا على أنبيائهم المعجزات قبل مشركي مكة، بل كَذَّبوا فأهلكهم الله، أفيُصَدَّق هؤلاء بالآيات لو رَأَوها؟

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ افتتاح الكلام بقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ أسلوب بديع في الافتتاح؛ لما فيه من غرابة الأسلوب، وإدخال الرَّوع على المُنْذَرين.

٢ ـ ذمُّ الغافلين عن العمل لليوم الآخر، ولاسيَّما عند اقتراب يوم القيامة.

٣ ـ حرب الإشاعة ضد أهل الحق تمتد جذورها منذ الجاهلية.

٤ ـ مصير الأمم المكذبة الدمار.

٥ ـ قال ابن عاشور في الآية (٥): «دخلت لام الأمر على فعل الغائب لمعنى إبلاغ الأمر إليه، أي: فقولوا له: ائتنا بآية، والتشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ في موضع الحال من ضمير (يأتنا) أي: حالة كون هذا البشر حين يأتي يشبه رسالته رسالة الأولين، والمشبه ذات، والمشبه به معنى الرسالة». (التحرير والتنوير: ١٧/ ١٤).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا
جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن
نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ
قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا
يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾

التفسير:

٧ ـ ٨ ـ ما أرسلنا قبلك ـ أيُّها الرسول ـ إلا رسلاً من البشر لا ملائكة، فاسألوا ـ أيها المكذِّبون ـ أهل العلم بالقرآن والتوراة والإنجيل، إن كنتم لا تعلمون ذلك، وما جعلنا الأنبياء خَلْقاً مغايراً للبشر، كالملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولم يكونوا مُخَلَّدين في الدنيا لا يموتون.

٩ ـ ثمَّ أنجَزْنا الوعد للمرسلين وأتباعِهم بالنصر والنجاة، وأهلكنا المسرفين على أنفسهم بالكفر.

١٠ ـ واللهِ لقد أنزلنا إليكم ـ أيها العباد ـ هذا القرآن العظيم، فيه شَرَفُكم وفخركم إنْ عملتم بما فيه، أفلا تعقلون اتِّباع الحق؟

١١ ـ وأهلكنا كثيراً من أهل البلدان الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم؛ بسبب كُفْرِهم بآيات الله، وأنشأنا بعدهم أُمَّة أخرى.

١٢ ـ ١٣ ـ فلمَّا رأى الظالمون عذابنا، وتَيَقَّنوا نزوله إذا هم يهربون، فيقال لهم: لا تهربوا، وعُودوا إلى النِّعم والشهوات التي كنتم مُنْغَمِسين بها في الدنيا، وإلى مساكنكم الفخمة؛ كي تسألوا عمَّا جرى لكم من الأهوال. وهذا من باب التهكُّم بهم.

١٤ ـ ١٥ ـ فصاحوا مُتَفَجِّعين: يا دمارَنا، إنَّنا كنَّا ظالمين لأنفسنا. فما زالوا يُرَدِّدون هذا التفجُّعَ حتى أهلكناهم بالعذاب، وجَعَلْناهم فُتاتاً كالزَّرْعِ المحصود، لا حَراك ولا حياة فيهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ تقرير بشرية النبي الأمين ورسالته ﷺ.

٢ ـ القرآن الكريم مصدر العزة والكرامة، إذا عُمِلَ به.

٣ ـ بيان فضل أهل العلم.

٤ ـ بيان مصير الأُمم المكذِّبة بالحق.

٥ ـ قال ابن عاشور: «الإتيان بصيغة المستقبل في قوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ احتباك، والتقدير: فأنجيناهم ومَنْ شئنا، ونُنْجِي رسولنا ومَنْ نشاء منكم، وهو تأميل لهم لأن يؤمنوا؛ لأنَّ من المكذبين يوم نزول هذه الآية مَنْ آمنوا فيما بعد إلى يوم فتح مكة». (التحرير والتنوير: ١٧/ ١٧). والمراد بالاحتباك هنا: الاختصار.

٦ ـ قال ابن عاشور: «حرف ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ لبيان الجنس، وهي تدخل على ما فيه معنى التمييز، وهي هنا تمييزٌ لإبهام ﴿كَمْ﴾». (التحرير والتنوير: ١٧/ ١٩).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التفسير:

١٦ ـ ١٧ ـ وما خَلَقْنا السموات السبع والأرَضين السبع وما بينهما عبثاً، ولا لَعِباً، وإنَّما في هذا الخلق عبرة ومنافع للعباد، لو أَرَدْنا أن نَتَّخِذَ لهواً

على سبيل الفرض والتقدير المحال لاتَّخذناه مِنْ عندنا إن كنَّا فاعلين، فالسموات والأرض بمَرْأى منكم دائماً، ولا يمكن أن يكون القصد منهما العبث واللهو.

١٨ ـ يخبر الله تعالى أنَّه تَكَفَّل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، فإنَّ الله يُنَزِّل من الحق والعلم والبيان ما يدمغ الباطل فيضمحلُّ، ويتبيَّن لكلِّ أحد بطلانه، فإذا هو فانٍ تالفٌ، ولكم الويل ـ أيُّها الكفَّار ـ ممَّا تُكَذِّبون.

١٩ ـ ٢٠ ـ ولله مُلك مَنْ في السموات السبع والأرَضين السبع، ومَنْ عنده من الملائكة لا يستنكفون عن عبادته سبحانه، ولا يَمَلُّون منها، يَلْهَجُون بالتسبيح والذكر والتنزيه ليلاً ونهاراً دون انقطاع وتَوَقُّف.

٢١ ـ ٢٢ ـ يُنْكِرُ الله تعالى على المشركين الذين يعبدون أصناماً لا تقدر على إحياء الموتى، لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لَفَسَدَ نظام الكون كلِّه لاختلاف التدبير، تنزَّه الله وتقدَّس، ربُّ العرش العظيم عَمَّا يفتري هؤلاء المشركون.

٢٣ ـ ومن عظمته سبحانه أنَّه لا يُسأل عَمَّا يفعل، لأنَّه مالك كل شيء، وأمَّا العباد فيُسألون، لأنَّهم ملك لله تعالى.

٢٤ ـ يُكَرِّر الله تعالى الإنكار على المشركين؛ استعظاماً لجريمة لشرك، ومبالغة في توبيخهم: هل اتَّخذوا آلهة من دون الله تصلح للعبادة والتعظيم؟ قل أيُّها النبيُّ لهم: ائتوني بالحجة والدليل على ما تَدَّعون، فليس في هذا القرآن الذي معي والكتب السابقة دليل على افترائكم، بل أكثرهم لا يعلمون حَقَّ الله تعالى في توحيده، فهم مُعْرِضُون عن الحقِّ وأهله.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ تقرير توحيد الربوبية بخلق السماء والأرض.

٢ ـ كلُّ مَنْ في السموات والأرض يعبد الله تعالى وحده.

٣ ـ أَمْنُ الكون وحركتُه شاهدٌ على وحدانية الله تعالى الذي خلق هذا الكون.

٤ ـ إقامة الحجة على المشركين بالحوار والدليل.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

التفسير:

٢٥ ـ وما بعثنا قبلك ـ أيها الرسول ـ من رسول إلا أوحينا إليه أنَّه لا معبود بحقٍّ إلا الله، فأَخْلِصوا العبادة له وحده.

٢٦ ـ ٢٧ ـ يخبر الله تعالى عن سفاهة المشركين الذين زعموا أنَّ الملائكة بنات الله! سبحانه وتعالى عن قولهم الكُبَّار، وأخبر عن وصف الملائكة بأنَّهم مُكَرَّمون عنده في منازل عالية؛ لأنَّهم في غاية الطاعة، لا يقولون قولاً حتى يقول الله تعالى؛ لكمال أدبهم، وهم بأمره ممتثلون مطيعون.

٢٨ ـ ٢٩ ـ يعلم الله أحوال الملائكة وما عملوا، وما هم عاملون في المستقبل، ولا يشفعون يوم القيامة إلا لِمَنْ رضي الله عنهم من المؤمنين، وهم من خوف الله حَذِرُون خائفون. ومَنْ يَقُلْ منهم إنِّي إله غير الله فذلك البعيد عن رحمة الله، عقوبته نار جهنم. مثلَ ذلك الجزاء الشديد نَجْزي مَنْ ظلم، وتَعَدَّى الحقوق.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ وحدة دعوة الرسل إلى توحيد العبودية لله تعالى.

٢ ـ قال ابن عاشور: «عطف قصة من أقوالهم الباطلة على قصة أخرى، فلما فرغ من بيان باطلهم فيما اتخذوا من دون الله آلهة انتقل إلى بيان باطل آخر، وهو اعتقادهُم أن الله اتخذ ولداً». (التحرير والتنوير: ١٧/ ٣٧).

٣ ـ تقرير الشفاعة للمؤمنين.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا
لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ
وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي
يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ
سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

التفسير:

٣٠ ـ يُوَبِّخ الله تعالى الكفَّار الذين لم ينتفعوا بالآيات الكونية: أولم يعلموا أنَّ السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين، ففَصَلْنا بينهما. وجَعَلْنا الماء أصل كل الأحياء وسبباً للحياة، أفلا يُصَدِّقون بهذه الآيات المشاهَدَة التي تَدُلُّ على وحدانية الله؟

٣١ ـ ٣٢ ـ وجعلنا في الأرض جبالاً شامخة لتثبِّتَها، وجعلنا فيها طرقاً واسعة؛ ليهتدُوا بها في سيرهم لمصالحهم، وجعلنا السماء الدنيا سقفاً للأرض محفوظاً من السقوط، واختراق الشياطين. والكفَّار بهذه الآيات المرئية لا يُبالون، ولا يتفكَّرون فيها.

٣٣ ـ والله سبحانه هو الذي خلق الليل والنهار وآيتيهما الشمس والقمر، كلٌّ منهما يجري في مدار خاص به، وكذلك كلُّ الكواكب التي يُظَلِّلُها الليل بظلامه، والكواكب التي تدور في فلك الشمس كلها تدور بحركة متناسقة.

٣٤ ـ ٣٥ ـ وما جَعَلْنا لأحد من البشر قبلك ـ أيها الرسول ـ البقاء الدائم من غير موت، فهل إذا مِتَّ سيُخَلَّدون بعدك في هذه الحياة؟ والجواب: كلُّ

نفسٍ ستموت في الدنيا، ولا يدوم إلا الحي القيوم، ونختبركم بالمصائب والنِّعَم؛ لنرى صبركم وشكركم، وإلينا تعودون للحساب.

٣٦ ـ وإذا رآك الكفَّار ـ أيُّها النبي ـ ما يتخذونك إلا مثاراً للسخرية، ويُنْكِرُون عليك بقولهم: أهذا الذي يعيب آلهتكم؟ والحال أنَّهم مُكَذِّبون إذا ذُكِرَ الله الرحمن.

٣٧ ـ خُلِقَ الإنسان عجولاً يستعجل كثيراً من الأشياء، وقد استعجل كفَّار مكَّة العذاب، فأنذرهم الله بأنَّه سيريهم العقوبة، فلا يتعَجَّلوا الأمر قبل أوانه.

٣٨ ـ ومِنْ عَجَلَتِهم قولُهم: متى وقتُ نزول العقاب إن كنتم صادقين في قولكم، أيها المؤمنون؟

٣٩ ـ لو عرف هؤلاء الكفَّار أهوال العذاب حين لا يقدرون أن يمنعوا عن وجوههم النَّار ولا عن ظهورهم، ولا ناصر لهم من ذلك العذاب المحيط بهم.

٤٠ ـ بل تأتيهم ساعة العذاب فجأةً فتدهشهم، فلا يقدرون على صَرْفِها عنهم، ولا يُمْهَلُون.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ الإشارة إلى نظرية الانفجار الكبير في بدء الكون.

٢ ـ الإشارة إلى حقيقة خلق المخلوقات من ماء.

٣ ـ في الآية (٣٠) بيانُ أنَّ الأشياء كلَّها تُخلق من الماء في الماضي والمستقبل.

٤ ـ الإشارة إلى حقيقة فائدة الجبال في استقرار الأرض. وينظر: صورة الجبال ورسوها في الأرض، كما في الملحق.

٥ ـ الإشارة إلى حقيقة حفظ الأرض بالسقف المرفوع في السماء.

٦ ـ قال العالم الفلكي د.داود سلمان السعدي: «يوجد توازن معقَّد بين كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا، وبين التسخين الحاصل في غلاف الأرض الجوي وسطحها، وبين إعادة إشعاع الطاقة الحرارية إلى الفضاء مرة ثانية. إن

هذا التوازن يحفظ الأرض دافئة بالحدود المناسبة وبالقَدْر المحسوب منه تعالى لديمومة الحياة عليها.. ولولا هذا السقفُ المحفوظ من الغلاف الجوي لاحترقَتْ جميعُ الأشياء شَيّاً نهاراً ولَتَجَمَّدَتْ من البرد ليلاً».

(أسرار الكون في القرآن، ص١١٧).

٧ ـ الإشارة إلى حركة الشمس والقمر وجميع الكواكب والمجرات.

٨ ـ في الآية (٣٣) إخبار مستقبليٌّ عن استمرار نظام جريان الشمس والقمر، كلٌّ منهما في مَداره لا يحيد عنه حتى قيام السَّاعة.

٩ ـ من حقائق الكون الثابتة أن للأرض عدة حركات منتظمة، منها دورتها حول محورها أمام الشمس والتي يتبادل بواسطتها الليل والنهار، وجريها في مدارها حول الشمس بمحور مائل فيتبادل كل من الفصول والأعوام، وحركتها مع الشمس حول مركز للمجرة، ومع المجرة حول مراكز أكبر إلى نهاية لا يعلمها إلا الله. (آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار، الصفحات ٢٥٩ ـ ٢٧٦).

١٠ ـ بيان حقيقة الموت، وأن جميع البشر تشملهم هذه الحقيقة. وفي ذلك إشارة إلى التزهُّد بأمر الدنيا، والإشارة إلى مسألة الخلود في الآخرة.

١١ ـ الاختبار يكون بالخير والشر، وليس بالشر فقط.

١٢ ـ في الآية (٣٥) إخبار مستقبليٌّ بأنَّ كلَّ نفس ذائقة الموت لا محالة، مهما عُمِّرت في الدنيا، وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمراً ونهياً. وفيها إخبار مستقبليٌّ آخر بأنَّ الأحوال تَتَقَلَّبُ خيراً وشرّاً، وهي مُستمرَّة على هذه الحال حتى قيام السَّاعة.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ
مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ
ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا
هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ
﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً
وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا
ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

التفسير:

٤١ ـ يُقْسِمُ الله تعالى مؤكِّداً أنَّ المكذِّبين من الأُمم الماضية قد سَخِروا بالمرسلين من قبلك، فنزل فيهم العقاب بسبب استهزائهم.

٤٢ ـ قل ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء المستهزئين مَنْ يحفظكم بالليل والنهار من أمر الرحمن إذا فاجأكم؟ بل هم عن القرآن ومواعظ الرحمن غافلون.

٤٣ ـ هل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب آلهة تمنعهم من عذابنا؟ فإنَّ تلك الآلهة عاجزة لا تقدر على نَصْرِ أنفسهم، ولا تجد عوناً من الله.

٤٤ ـ بل استَدْرَجْنا الكفَّار، وَمتَّعْناهم وآباءهم مِنْ قبلهم في الحياة الدنيا حتى طال عليهم العمر في النِّعْمَة، فاغترُّوا بها. أفلا ينظرون أنَّنا نأتي الأرض، فنُنْقِصُها من أطرافها بما يفتحه الله تعالى لنبيه ﷺ من البلدان بها، أو بالموجات البحرية التي تغرق مساحات واسعة من الأرض؟ ثمَّ أنكر عليهم ووَبَّخهم: أفهم الغالبون؟

٤٥ ـ قل أيُّها النبي لهم: إنَّما أُحَذِّركم، وأُخَوِّفكم بالقرآن العظيم،

وما آتاني الله من الوحي الحكيم، ولكنَّ الكفَّار الذين خُتِمَ على سمعهم لا يسمعون البلاغ بالإنذار.

٤٦ ـ والله لو مَسَّتْهم إصابة خفيفة من عذاب الله لَاعترفوا بجرائمهم، ولَرَدَّدُوا متفجِّعين: يا هَلاكَنا إنَّنا كنَّا ظالمين أنفسنا بتكذيب الرسل.

٤٧ ـ يخبر الله تعالى عن عدله في حساب الخلق يوم القيامة، حين يضع الميزان العادل الذي توزن به الأعمال، فلا تُظْلَمُ نفس مؤمنة أو كافرة شيئاً من أعمالهم، وإن كان العمل الذي عَمِلَتْه بوزن ذرة صغيرة من خير أو شر، فإنَّها تحسب لها. وكفى بربِّك مُحْصِياً لأعمال العباد.

٤٨ ـ ٤٩ ـ قسماً لقد آتينا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام التوراة التي يُفْرَقُ فيها بين الحق والباطل، وفيها الهداية والموعظة للمتَّقين الذين يخشون الله في خلواتهم وإن لم يروه، وهم من أهوال يوم القيامة خائفون.

٥٠ ـ وهذا القرآن العظيم الشأن فيه ذِكْرٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ، وخير كبير أنزلناه على محمد ﷺ، فكيف تُنْكِرُون إنزاله من الله تعالى؟

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ انتقام الله تعالى من المستهزئين برسل الله صلى الله عليهم وسلم عامة، وبرسول الله ﷺ كما وَعَدَ الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

٢ ـ ذَمَّ الله تعالى الكفار، ووَصَفَهم بالصُّمِّ؛ لأنَّهم لم يستفيدوا من هذه النعمة لمعرفة الحق.

٣ ـ بيان دقة عدل الله تعالى.

٤ ـ الإشارة إلى تحريف التوراة المعاصرة؛ لمخالفتها ما وصف الله تعالى به التوراة الحقيقية.

٥ ـ افتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد؛ لتنزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك، وذهول بعضهم عنه، وتناسي بعضهم إياه منزلةَ مَنْ يُنْكر تلك القصة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ
ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم
بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن
فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

التفسير:

٥١ ـ ٥٢ ـ والله لقد آتينا إبراهيم عليه السلام الهداية وهو صغير السن، وكُنَّا بأحواله عالمين حين قال لأبيه آزر وقومه مُنْكِراً عليهم: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣ ـ فأجابوه بقولهم: وجدنا آباءنا وأجدادنا من قبلُ عابدين لها، فاقتدينا بهم.

٥٤ ـ فأقسم إبراهيم عليه السلام لهم مُؤَكِّداً: إنَّهم وآباءهم بعبادتها في ضلال كبير عن طريق الحق.

٥٥ ـ فرَدُّوا عليه مُنْكِرين: ما تقوله جِدٌّ أم هَزْلٌ من أقوال اللاعبين؟

٥٦ ـ ٥٧ ـ فأجابهم إبراهيم عليه السلام بجزم: بل ربُّكم المعبود وحده، المستحق للعبادة، هو ربُّ السموات السبع والأرَضين السبع الذي خَلَقَهُنَّ، وأنا شاهد بهذه البراهين على وحدانية الله تعالى، وأقسم بالله مؤكِّداً إنَّه لَيكيد بآلهتهم كيداً؛ لتدميرها بعد ذهابهم عنها.

٥٨ ـ وجاء إبراهيم إلى الأصنام بعد انصراف قومه عنها فحَطَّمها، وجعلها فُتاتاً، إلا الصنم الكبير فلم يُكَسِّره؛ لعلهم يرجعون إليه، فيسألونه عن كسر الأصنام.

٥٩ ـ ورَجَعَ القوم إلى أصنامهم ففُوجِئُوا بالأصنام المحطَّمة، فتساءلوا بينهم: مَنْ فَعَلَ هذا بآلهتنا؟ إنَّه من المعتدين الذين يستحقون العقوبة.

٦٠ ـ قال بعضهم: سمعنا فتى يذكر آلهتنا بسوء، يقال له: إبراهيم.

٦١ ـ ٦٢ ـ فقال زعماء الشرك: أحْضِروا إبراهيم بمرأى من الناس؛ حتى يشاهدوه ليعتبروا، فأحْضَرُوه وسألوه: هل أنت الذي حَطَّمْتَ الآلهة يا إبراهيم؟

٦٣ ـ فأجابهم مقيماً عليهم الحُجَّة: بل حَطَّمها الصنم الكبير، فاسألوهم لماذا فُعِلَ بهم ذلك، إن كانوا قادرين على النطق؟!

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ وجوب إنكار المنكر حسب القدرة.

٢ ـ بيان فضل الحوار لإقامة الحجة والدعوة إلى الحق.

٣ ـ أهمية قوة التوكل على الله تعالى.

٤ ـ جواز التورية؛ لبيان حقيقة الأصنام، وأنَّها غير قادرة على شيء.

٥ ـ تقرير التوحيد بالمناقشات العقلية والأدلة الحسية.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ
عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ
ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ
كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ
٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾

التفسير:

٦٤ ـ ٦٥ ـ فأخذوا يُفَكِّرون ويتشاورون فيما بينهم قائلين: إنَّكم أنتم الظالمون؛ لأنَّكم وضعتم العبادة في غير موضعها، ثمَّ أخَذَتْهم العِزَّةُ بالإثم،

فانقلبوا عن الحق، ورجعوا إلى باطلهم، فقالوا له: لقد عَلِمْتَ يا إبراهيم أنَّهم جميعاً لا ينطقون، فكيف تطلب منَّا أن نسألهم؟

٦٦ ـ ٦٧ ـ فردَّ عليهم مُنْكِراً عليهم، ومُحتقراً لهم ولأصنامهم: أفتعبدون من غير الله ما لا ينفعكم شيئاً، ولا يَضُرُّكم إن تركتم عبادته؟ قُبْحاً لكم وللأصنام التي تعبدونها من غير الله، أفلا تعقلون اتِّباع الحق؟ ﴿أُفٍّ﴾ اسمُ فعلٍ دالٍّ على الضجر، وهو منقولٌ من صورة تَنَفُّس المتضجر لضيق نَفَسه من الغضب، وتنوين ﴿أُفٍّ﴾ يسمى تنوين التنكير والمراد به التعظيم، أي: ضجراً قوياً لكم. واللام في ﴿لَكُمْ﴾ لبيان المتأفف بسببه، أي: أفٍّ لأجلكم وللأصنام التي تعبدونها من دون الله.

٦٨ ـ ٦٩ ـ ولمَّا فشلوا في حواره قرَّروا إحراقه، فأمر أرباب القرار: أحرقوا إبراهيم حرقاً شديداً، انتقاماً لآلهتكم، ونصرة لها إن كنتم ناصريها حقَّاً، ولكن رعاية الله ﷻ فوق أوامر الطواغيت، فقال تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فانقلبت النار برداً دون أن تَضُرَّه، وخرج إبراهيم عليه السلام سالماً بإذن الله تعالى.

٧٠ ـ ٧٢ ـ وأرادوا بإبراهيم الموت بالتَّحْريق، فجَعَلْناهم أخسر الناس في الدنيا والآخرة، وأنقذنا إبراهيم ولوطاً، إذ هاجرا إلى أرض بيت المقدس التي باركنا فيها للناس بكثرة الخيرات، وطِيب الثمرات، ورَزَقْنا إبراهيم إسحاق ولداً، ويعقوب حفيداً، زيادةً على ما دعا إبراهيم، وكلُّهم من الأنبياء وأهل الصلاح والطاعة.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ جواز توبيخ عبدة الأصنام، بحسب مقام الداعية.

٢ ـ رعاية الله تعالى لأوليائه.

٣ ـ بيان معجزة خاصة بإبراهيم عليه السلام في إنقاذه من النار.

٤ ـ إكرام الله تعالى إبراهيم بالذرية الصالحة التي حَظِيَتْ بالنبوة.

٥ ـ الإشارة إلى بركات بيت المقدس.

٦ ـ الإشارة إلى فضل الهجرة؛ لإقامة شعائر الله تعالى.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

التفسير:

٧٣ ـ وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس، يُرْشِدُونهم إلى الدين بأمر الله تعالى، وأوحينا إليهم أن يعملوا بشرائع الدين، وإقامة الصلاة، وإعطاء الزكاة، وكانوا لنا مخلصين في العبادة.

٧٤ ـ ٧٥ ـ وأعطينا لوطاً النبوَّة والعِلْمَ بأحكام الدين، وأنقذناه من أهل البلدة الذين كانوا يعملون الخبائث والفواحش. إنَّهم كانوا أشراراً خارجين عن طاعة الله، وشَمِلْناه برحمتنا الواسعة؛ لأنَّه كان من الصالحين، المطيعين لله تعالى.

٧٦ ـ واذكر ـ أيُّها النبي ـ نوحاً عليه السلام حين دعا ربَّه بإهلاك الظالمين من قومه، فأجَبْنا دعاءه، فأنقذناه وأهله المؤمنين به في السفينة من الغمِّ الشديد.

٧٧ ـ ونَصَرْنا نوحاً بنجاته من كيد الكافرين الأشرار، وبإغراقهم في الطوفان جميعاً.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ الإشارة إلى فضل الدعوة، والدعاة حملة الهداية.

٢ ـ الإشارة والإشادة بفضل فعل الخيرات.

٣ ـ التهديد والوعيد من الوقوع في الخبائث.

٤ ـ رعاية الله تعالى لأنبيائه صلى الله عليهم وسلم، والنكاية بالمكذِّبين بهم.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ
يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ
وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

التفسير:

٧٨ ـ ٧٩ ـ واذكر أيضاً داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام إذ يحكمان لخصمين اقتحمت غنم أحدهما زرع الآخر ليلاً، فأتلفتِ الزُّروع، وكُنَّا مُطَّلِعين على حكمهما، ففهَّمْناها سليمان. وكلاً من داود وسليمان أعطينا نبوَّةً وعلماً نافعاً في أمور الدين، وذَلَّلْنا الجبال والطير تُسَبِّحُ مع داود، وكُنَّا قادرين على فِعْلِ ذلك وأمثاله، وعَلَّمْنا داودَ صناعة الدروع بجَعْلِ الحديد لَيِّناً له؛ لتَحْمِيَكم في الحرب من سلاح عَدُوِّكم، فهل أنتم ـ أيها الناس ـ شاكرون نعمتي؟

٨١ ـ وسَخَّرْنا لسليمان الريح شديدةً سريعةَ الهبوب، تسير بأمره إلى أرض الشام التي باركنا فيها من الخيرات والثمرات، وكُنَّا بكل شيء من الأشياء عالمين.

٨٢ ـ وسَخَّرْنا له بعض الشياطين يغوصون في البحر، فيستخرجون له اللؤلؤ، ويعملون له أعمالاً أخرى كالبناء والصناعة، وكُنَّا لهم حافظين من أن يفعلوا غير ما يريد سليمان.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ بيان فضل القضاء بين الناس، وقد قام به الأنبياء.

٢ ـ بيان فضل الرجوع إلى الحكم الصحيح.

٣ ـ الإشارة إلى التصنيع من الحديد إذا انصهر.

٤ ـ بيان المعجزات التي خصَّها الله تعالى داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

٥ ـ الإشارة إلى فضل بيت المقدس، وما فيه من البركات.

٦ ـ قال ابن عاشور: «هذه الآية أصلٌ في اختلاف الاجتهاد، وفي العمل بالراجح، وفي مراتب الترجيح، وفي عذر المجتهد إذا أخطأ الاجتهاد أو لم يَهْتَدِ إلى المُعارِضِ لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ في معرض الثناء عليهما». (التحرير والتنوير: ١٧/ ٨٧).

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ
لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى
رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ
رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ
وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

التفسير:

٨٣ ـ ٨٤ ـ يُذَكِّر الله تعالى محمَّداً ﷺ وأُمَّته بالأنبياء والصالحين الذين تَضَرَّعوا إلى الله، فاستجاب الله لهم، ومنهم نبي الله وعبده أيوب، حين دعا ربَّه أني مسَّني الضُرُّ في جسدي وفقدان أهلي، وأنت أرحم الراحمين، فارحمني برحمتك الواسعة. فاستجبنا له دعاءه، فرَفَعْنا عنه الضرَّ، وأعطيناه

مثل أهله عدداً وزيادة بضعف عددهم، رحمةً من عندنا، وموعظةً عظيمةً للعابدين لله؛ ليصبروا على البلاء.

٨٥ ـ ٨٦ ـ واذْكُرْ إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كلُّهم من الصابرين على الابتلاء، وشَمِلْناهم برحمتنا؛ لأنَّهم من الأخيار الصالحين.

٨٧ ـ ٨٨ ـ واذْكُرْ قصَّة صاحب الحوت يونس بن متَّى عليه السلام حين أرسله الله إلى قومه في قرية (نينوى) من مدينة (الموصل) شمال بغداد، فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بالعذاب، وتركهم مغاضباً لهم بالهجرة عنهم، ومغاضباً لربِّه لعدم صبره، فقد آمنوا بعد أن هجرهم، وظنَّ أن لن نعاقبه على ذلك. ولمَّا هجر قومه ركب سفينة، وكان عدد رُكَّابها زائداً، فخافوا أن يغرقوا، فاقترحوا أن يقترعوا بإلقاء أحدهم، فوقعت القُرعة على يونس، ثم ألقى بنفسه، فابتلعه الحوت، فنادى في ظلمات بطن الحوت وظلمات البحر مُعترفاً بتعجُّلِه، تائباً إلى الله مُوَحِّداً له: لا إله إلا أنت سبحانك، إنِّي كنت من الظالمين. فاستجبنا له دعاءه، وأنقذناه من ذلك الغَمِّ الشديد. ومثلما أنقذناه من كَرْبِه ننقذ المؤمنين من كروبهم، إذا دَعَوا الله تعالى مخلصين.

٨٩ ـ ٩٠ ـ واذْكُرْ قصَّة زكريا عليه السلام حين دعا ربَّه قائلاً: يا ربِّ لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وأنت خير الباقين. فأَجَبْنا له دعاءه، ورزقناه ولداً اسمه يحيى عليه السلام، وأصلحنا له زوجه، بعد أن كانت عاقراً لا تصلح للحمل. إنَّهم كانوا يُكْثِرُون من فعل الخيرات، ويَدْعُوننا رغبةً في رحمتنا، ورهبةً من عذابنا، وكانوا لنا خائفين خوفاً عظيماً.

٩١ ـ واذْكُرْ قصَّة الصِّدِّيقة مريم بنت عمران التي حَفِظَتْ فَرْجَها من الحرام، فأرسلنا لها جبريل، فنفخ في فتحة قميصها، فحَمَلَتْ بعيسى، وجَعَلْناها وابنَها علامةً على قدرة الله تعالى للإنس والجن.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ الإشارة إلى عظمة رحمة الله تعالى بأنه أرحم الراحمين.

٢ ـ بيان علاج الابتلاء بالدعاء، لجميع العباد وحتى الأنبياء.

٣ ـ بيان فضل الصبر على الابتلاء.

٤ ـ بالدعاء والاستقامة تُقْضى الحاجات، وتتحقق الرغبات.

٥ ـ الترغيب في الدعاء، فلا يجوز اليأس من رحمة الله تعالى الواسعة.

٦ ـ الإشارة إلى قدرة الله تعالى في نجاة المؤمنين من المحن والفتن.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

التفسير:

٩٢ ـ إنَّ هذه مِلَّتكم التي جاء بها هؤلاء المرسلون على دين الإسلام أيُّها العباد، وأنا إلهكم لا رَبَّ سواي، فأَخْلِصُوا لي العبادة.

٩٣ ـ ولكنَّ العباد اختلفوا، وتَفَرَّقوا إلى فِرَقٍ كثيرة: فمنهم مَنْ آمن بالله تعالى، ومنهم مَنْ كفر وعصى، وكلُّهم راجعون إلينا يوم القيامة للجزاء.

٩٤ ـ فمَنْ يعمل شيئاً من الطاعات وهو مؤمن فلا يضيع شيء من ثوابه، وإنَّنا لسَعْيِه حافظون، مُثْبِتُون في صحيفة أعماله.

٩٥ ـ ٩٧ ـ قَدَّر الله تعالى أنَّ أهل كل قرية أهلكوا أنَّهم لا يرجعون إلى الدنيا مرَّة ثانية، إلى قرب قيام الساعة، حين يُفتح سَدُّ يأجوج ومأجوج ـ وهما قبيلتان عظيمتان من همج البشر ـ وهم من كل مرتفع من الأرض ينحدرون سراعاً، واقترب يوم القيامة، فإذا حالة الكفَّار هي: مُفَتَّحةً أبصارهم لا تتحرَّك من شدَّة هول ذلك اليوم، ويقولون مُتَفَجِّعين: يا ويلنا قد كُنَّا في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم العصيب، بل كُنَّا ظالمين لأنفسنا بتكذيب الرسل.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تُفْتَحُ يأجوج ومأجوج. فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾** فيعمُّون الأرض، وينحاز منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويَضُمُّون إليهم مواشيهم، حتى إنَّهم لَيمرون بالنهر فيشربونه، حتى ما يَذَرون فيه شيئاً، فيمرُّ آخرُهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماءٌ، ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض، قد فرغنا منهم، ولننازلنَّ أهل السماء، حتى إنَّ أحدهم لَيَهُزُّ حَرْبَتَه إلى السماء، فترجع مخضَّبَةً بالدم، فيقولون: قد قَتَلْنا أهل السماء. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله دوابَّ كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً، فيُصبح المسلمون لا يسمعون لهم حِسّاً، فيقولون: مَنْ رجلٌ يشري نفسه، وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وَطَّنَ نفسه على أن يقتلوه، فيجدُهم موتى، فيناديهم: ألا أَبْشِرُوا، فقد هلك عَدوُّكم فيخرج الناس، ويُخْلُون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكَر عليها، كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط».

(أخرجه ابن ماجه في السنن ـ الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ٢/ ١٣٦٣ برقم ٤٠٧٩، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ٣١١، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٨٨). ذكره ابن كثير ٥/ ٣٦٧). النغَف: واحده: نَغفة، نوع من الدود. وتشكر: تَسْمَن.

٩٨ ـ ١٠٠ ـ إنَّكم ـ أيها المشركون ـ وما كنتم تعبدون من الأصنام وقود نار جهنَّم، أنتم فيها داخلون. لو كان هؤلاء المعبودون آلهة كما تَدَّعُون ما دَخَلُوا نار جهنم، وكلُّكم في النار ماكثون إلى الأبد، ولهؤلاء الكفَّارِ زفير من شدَّة العذاب والحزن، وهم في النار لا يسمعون شيئاً يؤنسهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ دعوة الأنبياء واحدة، موحدة بإخلاص العبادة لله تعالى.

٢ ـ قال ابن عاشور: «لمَّا ضُمِّنَ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ معنى (تَوَزَّعُوا) عُدِّي إلى

(أمرهم) فنصبه، والأصل: تَقَطَّعوا في دينهم وتَوَزَّعوه. وزيادة ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لإفادة إنهم تعاونوا وتظاهروا على تَقَطُّع أَمْرِهم». (التحرير والتنوير: ١٧/ ١٠٤).

٣ ـ تأكيد وجوب توحيد العبودية.

٤ ـ الإشارة إلى ذم التفرق والتشرذم.

٥ ـ تقرير البعث والحساب.

٦ ـ الترغيب في الأعمال الصالحة مهما قَلَّتْ.

٧ ـ الإشارة إلى تَأَخُّرِ خروج قوم يأجوج ومأجوج، وفيه الرد على مَنْ يقول إنَّهم خرجوا.

٨ ـ في الآية (٩٦) إخبار مستقبلي عن إحدى علامات السَّاعة، وهي فَتْحُ سَدِّ يأجوج ومأجوج، وانطلاقهم من مرتفعات الأرض، وانتشارهم في جَنَباتِها مسرعين.

٩ ـ الإشارة إلى وقود النار من اللحوم البشرية، والمصنوعات الحجرية.

١٠ ـ الإشارة إلى بقاء الكفار أحياء في النار بزفيرهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

١٠١ ـ سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ فقال المشركون: الملائكة وعيسى وعُزير يعبدون من دون الله، فقال: لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها قال: فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ عيسى وعُزير

والملائكة. (أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك ٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ كتاب التفسير).

التفسير:

إنَّ الذين سبقت لهم منَّا الموعدة البالغة في الحسن، أولئك أصحاب الدرجات العالية، وهم عن نار جهنم مُبْعَدُون.

١٠٢ ـ ١٠٣ ـ لا يسمعون صوتَ النار المتوقِّدة ولهيبها، وهم في الجنَّة مقيمون أبداً، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتَلَذُّ الأعين، لا تحزنهم أهوال يوم القيامة، وتستقبلهم الملائكة على أبواب الجنَّة قائلين مبشِّرين: هذا يومكم الذي وُعِدتم به في الدنيا؛ لنيل الثواب.

الفزع الأكبر هو عند النفخ في الصور كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]، وانظر تفسيرها هناك. (التفسير الصحيح: ٤/ ٢٥٧).

١٠٤ ـ يخبر الله تعالى عن عظيم قدرته في هذا الكون وفي البعث: يوم القيامة نطوي السماء مثل طَيِّ الورقة على الكتاب، ونعيد الخلق إلى الحساب، كما بدأنا أول خَلْقِهم من العدم في الدنيا، كذلك نُعيدهم يوم القيامة، إنَّنا كُنَّا قادرين على فِعْلِ ذلك وأمثاله.

١٠٥ ـ واللهِ لقد كتبنا في الكُتُبِ والزَّبور الذي أنزلناه على داود عليه السلام بعد ما كُتب في اللوح المحفوظ، أو من بعد ما كُتب في التوراة أنَّ أرض الجنة يرثها عباد الله المطيعون، الذين يعملون الصالحات. وهذا في الآخرة، أما في الدنيا فيبشرهم بنصر الإسلام في الأرض.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ بشرى للمؤمنين بنجاتهم من نيران جهنم، ثم أمنهم من الحزن والحسرة في أهوال يوم القيامة.

٢ ـ الإشارة إلى أن السموات في بدء الخلق كانت مطويات، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وكما في التشبيه ببدء الخلق. وهذا التشبيه يستنبط منه معرفة مصير الكون يوم القيامة من معرفة بدء الخلق، فقد تَقَدَّم ذكر ذلك في تفسير سورة التوبة الآية (٣٦)، وتَقَدَّم في

تفسير الآية (٣٠) من هذه السورة أنَّ السموات والأرض كانتا ملتصقتين، ثم فَصَلَهما الله تعالى، وذلك في بداية الخلق، ويستنبط أنَّ السموات كانت مطويات، وستعود كما خُلِقَتْ في البداية.

٣ ـ البشرى بنصر المؤمنين وانتشار الإسلام في الأرض كلها، كما بَشَّرَ بذلك النبيُّ الأمين ﷺ في قوله: «**إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أُمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**».

(صحيح مسلم ـ كتاب الفتن ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض). ومعنى زوى أي: جمع.

٤ ـ في الآية (١٠٥) إخبار مستقبليٌّ وبشارة لأُمَّة محمَّد ﷺ بأنَّ الله ﷻ قد كتب في الكتب المنزَّلة من بعد ما كتب في اللوح المحفوظ: أنَّ الأرض يَرِثُها عباد الله الصَّالحون.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

التفسير:

١٠٦ ـ يُثني الله تعالى على هذا القرآن الحكيم؛ لِما فيه من الكفاية التامَّة في الموعظة والاعتبار لقوم مُتَذَلِّلين لله، خاضعين له.

١٠٧ ـ ١٠٩ ـ وما أرسلناك ـ أيها الرسول ـ بهذا الدين إلا رحمة مهداة إلى الإنس والجن. قل للعباد: إنَّما أوحى إليَّ ربِّي أنَّ إلهكم المستحق للعبادة إله واحد، فأسْلِمُوا له، وانقادوا لطاعته، فإن أعرضوا عن الإسلام فقل لهم: أعلمتكم بالحق جميعاً، ولا أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما تُوعَدون به من العذاب والقيامة؟

١١٠ ـ ١١٢ ـ إنَّ الله سبحانه يعلم ما تجهرون من الأقوال، ويعلم ما تُخفون في صدوركم، وستحاسبون على ذلك، وما أعلم لعلَّ تأخير العقاب اختبار لكم: أتؤمنون أم تُصِرُّون على الكفر؟ واستمتاع في الحياة الدنيا إلى انتهاء الأجل، قل: يا ربِّ افصِلْ بيني وبينهم بالقضاء العدل، وربُّنا هو الرحمنُ بعباده، وأطلبُ العون منه على ما تَصِفُونه من الكذب والشرك والسخرية.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ بيان فضل القرآن العظيم وما فيه من المواعظ التي يستفيد منها المخلصون في عبادة الله تعالى.

٢ ـ الإشارة إلى فضل نبي الرحمة ﷺ، وأنَّ ما جاء به فيه الخير الكبير والنفع الكثير للبشرية جميعاً.

٣ ـ قال ابن عاشور في الآية (١٠٧): «صِيغَتْ بأبلغِ نَظْمٍ؛ إذ اشتملت هاته الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ومَدْحِ مرسله تعالى، ومَدْحِ رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنَّها رحمة الله تعالى بخلقه. فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عُطِفَتْ به، ذكر فيه الرسول، ومُرْسِلَه، والمرسَل إليه، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر». (التحرير والتنوير: ١٧/ ١٢١).

٤ ـ في الآية (١٠٧) إخبار مستقبليٌّ بأنَّ رسالة محمَّد ﷺ هي رحمة لجميع الناس على مختلف العصور والدهور إلى أن تقوم السَّاعة.

٥ ـ تقرير الرسالة وتوحيد العبودية والربوبية.

٦ ـ وجوب الاستعانة بالله تعالى؛ للفرقان بين الحق والباطل.

٧ ـ قال ابن عاشور: «التعريف في ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ لاستغراق كلِّ ما يَصْدُقُ عليه اسم العالَم. والعالَم: الصنف من أصناف ذوي العلم». (التحرير والتنوير: ١٧/ ١٢٢).